

التوسع التجاري لجمهورية البندقية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض

المتوسط بعد الحملة الصليبية الرابعة سنة 1204م

Venice's Commercial Expansion in the Eastern Mediterranean Following the Fourth Crusade (1204 AD)

عداد تسعديت

¹ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

tassadit.addad@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 10 / 09 / 2025 تاريخ القبول: 09 / 11 / 2025 تاريخ النشر: 16 / 12 / 2025

Abstract:

This article examines the growth and prosperity of the Venetian trade after establishing its maritime empire in the East, particularly after its position was strengthened following the fall of Constantinople in 1204 AD during the Fourth Crusade. It also highlights how Venice rose to global power and influence, a success it certainly would not have achieved without the cunning, shrewdness, political acumen, and foresight of its rulers. This was in addition the maritime expertise of its merchants, who secured the best lands and strategic locations, both for military and commercial purposes, and for navigational crossing points along the route connecting its port to the Bosphorus Strait.

These gains contributed to the development of its economy and the expansion of its trade network in these regions and islands, extending from the heart of Constantinople and around the sea of Marmara to the Greek archipelago and the nearby islands of the Aegean Sea, and then to the Ionian Islands and the famous island of Crete, and from there to the outskirts of the Adriatic Sea, to the point of reaching global prominence.

Keywords: Trade; Venice; Constantinople; Fourth Crusade; Trade privileges;

الملخص:

يعالج هذا المقال، نمو وازدهار تجارة جمهورية البندقية بعد تأسيس إمبراطوريتها البحرية في الشرق خاصة بعد تعزيز مكاتها هناك على إثر إسقاط القسطنطينية سنة 1204م؛ خلال الحملة الصليبية الرابعة. كما يُسلط الضوء على كيفية صعود البندقية على سَلَم القوة والنفوذ العالميين، ولم تكن لتنجح في ذلك -أكيد- لو لا دهاء وحكمة حكامها السياسية وقوة بصيرتهم، هذا وبالإضافة إلى خبرة تجارها الملاحية، في نيل أجود الأراضي وأحسن المناطق الاستراتيجية سواءً الحربية منها أو التجارية أو نقاط عبور ملاحية على الخط الرابط بين مينائها إلى غاية مضيق البوسفور.

وقد ساهمت هذه المكتسبات في تطوير اقتصادها وتوسيع شبكة معاملاتها التجارية بتلك الأقاليم والجزر التي امتدت من جوف القسطنطينية وحول بحر مرمرة إلى الأرخبيل اليوناني وجزر بحر إيجة القريبة ومن بعدها إلى الجزر الأيونية وجزيرة كريت الشهيرة ومنها إلى مشارف بحر الأدرياتيك، حدّ بلوغها العالمية.

الكلمات المفتاحية:

التجارة؛ البندقية؛ القسطنطينية؛ الحملة الصليبية الرابعة؛ الامتيازات التجارية

1. مقدمة:

اشتهرت جمهورية البندقية أو مدينة القديس "مرقس" أو مدينة الخلجان الأدرياتيكية، منذ باكورة وجودها، بنظرتها المادية وشغفها اللامحدود للتجارة العالمية، وعلى أساس هذا المبدأ سعت سعياً حثيثاً إلى تطبيق استراتيجية عمل تقضي بتطوير اقتصادها وتجارها البحرية والتصدي لكل المخاطر والتهديدات المحلية وكذا الدولية مهما كانت الوسيلة التي تبذلها هدفها النبيل هذا. فمن الامتيازات التي اكتسبتها من ساحة الإمبراطورية البيزنطية أواخر القرن 11م إلى تفويض عرش هذه الأخيرة والترفع على كرسي القسطنطينية في بداية القرن 13م؛ نطرح الإشكالية التالية: كيف ولماذا تطورت تجارتها في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط بعد سقوط العاصمة البيزنطية سنة 1204م؟ وما حجم مكتسباتها جراء ذلك؟ وهل نجحت بالفعل في توسيع معاملاتها التجارية بالشرق؟ واعتمدت في دراسة هذه الورقة العلمية على المنهج التاريخي الاستردادي، الذي يقوم على جمع المعلومات من الدراسات السابقة من مصادر ومراجع تناولت هذا الموضوع من منظوره السياسي والاقتصادي، ثم تحليلها والتنسيق فيما بينها للإجابة عن الإشكالية المطروحة بإبراز دور التجارة البحرية في تطوير اقتصاد جمهورية البندقية في العصر الوسيط.

2. علاقة البندقية بالإمبراطورية البيزنطية:

وجّهت جمهورية البندقية ومنذ وقت مبكر تجارتها نحو البحر لافتقارها من مصادر طبيعية وأراضي زراعية تغنيها من التبعية للمدن الداخلية الإيطالية من حيث توفير الحبوب؛ لذلك قامت بعكس المعادلة لصالحها حين وقّرت لتلك المدن احتياجاتها من المواد المصنّعة والسلع الشرقية بعد عمليات الاستيراد المتكررة من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وخاصة مع الإمبراطورية البيزنطية. لكن الخطر الذي هدّد الملاحة التجارية للبندقية نهاية القرن 11م وطيلة القرن 12م

كان كفيلا بأن يجعلها تتبنى استراتيجية دفاعية قوّة. وهذا ما وقع بالفعل حين تصاعدت القوّة النورماندية من جنوب إيطاليا للاستيلاء على بعض نقاط عبور على بحر الأدرياتيك؛ التي اعتبرت حسّاسة بالنسبة للملاحة البندقية. وإزاء ذلك تحالفت هذه الأخيرة مع الإمبراطور البيزنطي "ألكسيس كومنين" (1081-1118م) حين طلب منها المساعدة لصدّ هجوم النورمان وقمع تقدّمهم العسكري بالمنطقة¹. وبالفعل نجح التحالف في ردّ خطر النورمان، واكتسبت مدينة القديس مرقس على إثر هذا النصر، امتيازات سنة 1082م التي ما فتئت جلّ الدراسات التاريخية تُشيد بهذا المرسوم الإمبراطوري وبحجم التسهيلات التي حاز عليها البنادقة²؛ فمن الإعفاء التام من الرسوم الجمركية والضرائب باختلاف أنواعها في كل أرجاء الإمبراطورية؛ إلى حرية المعاملات التجارية في أغلب الموانئ البيزنطية، إلى جانب حيّ كامل بالقسطنطينية بكل متاجره ومستودعاته وكنيسته للإقامة الدائمة³.

ومن هنا يبدو جليّاً؛ مصدر القوة والنفوذ التجاري الذي تفاخر البنادقة في ممارستها وإبدائه، وينبغي التنويه إلى أنّه سرعان ما تطوّر إلى تسلط سياسي خلال عهد أباطرة "آل كومنين" وخلفائهم.

1.2. البنادقة و"يوحنا كومنين":

على الرغم من الطيبة والحيوية التي طبعت العلاقات بين البندقية وبيزنطة، ومختلف الامتيازات والمصالح التي ربطت بينهما، إلّا أنّ فترات من الجفاء والتوتر عكّرت صفوها؛ خاصة حين قرر الامبراطور يوحنا كومنين (1118م-1143م) سنة 1122م؛ عدم تجديد اتفاقية الامتيازات التجارية التي نالها البنادقة سنة 1082م⁴، وذلك محاولة منه للحدّ أو التقليل من التفوق الاقتصادي وممارسات الاحتكار والتسلّط التي أبداها تجار مدينة القديس مرقس بالعاصمة

البيزنطية "القسطنطينية"⁵، ولإيقاف سلوكياتهم المتعجرفة ونظرتهم المتدنية للبيزنطيين⁶ كما لجأ إلى طرد البنادقة المقيمين هناك⁷.

جاء رد فعل دوق البندقية "دومينيكو ميشال" سريعا، فبمجرد أن سمع بالمستجدات الأخيرة⁸، حتى شنَّ حملة عسكرية ضد الإمبراطورية التي خرج إليها هو وجنده منذ 8 أوت 1122م، فاستبق بعبور دالماسيا متوجّها إلى جزيرة "كورفو" أين قضى فيها الجنود فصل الشتاء.

تحرّكت الحملة مجددا منذ ربيع سنة 1123م؛ وتوجّهت القوات البندقية إلى "مودن" (Modon) و"قبرص" و"رودس" (Rhodes)؛ التي تلقى فيها الدوق معاملة سيئة وجفاءً من قبل البيزنطيين حين توقف لشحن المؤونة سنة 1124م⁹. وإزاء ذلك، قام بنهب وسلب عددا من الجزر الأيونية؛ بدءاً بـ"رودس" و"خيوس" (Chios) التي جعلها قاعدة لعملياته البحرية هناك بشرق المتوسط، ثم اتجه استولى هو وجنده على جزر "ساموس" و"ليسبوس" بالإضافة إلى جزيرة "أندروس". واختتم حملة النهب هذه أواخر سنة 1125م، بعد أن استحوذ على "مودن" وبعض من سواحل "دالماسيا" والأرخيل اليوناني.

وتجدر الإشارة إلى أنّ نجاح هذه الحملة قد منح البنادقة وحاكمهم الأمل والشجاعة للتجهيز لحملة جديدة مُوجّهة خصيصا إلى أكبر جزيرة يونانية في البحر الأيوني وهي: "كيفالونيا" (Céphalonie). ونظرا لخبرتهم الملاحية وقوتهم البحرية وعتادهم الحربي الذي اشتهروا به؛ فبمجرد ما بلغت مسامع الامبراطور "يوحنا كومنين" خبر الحملة الجديدة التي ربما خشي مواجهتها! حتى بعث بوفد ديبيلوماسي إلى الدوق "دومينيكو ميشال" يطلب منه التفاوض والوصول إلى حلّ وسط

يُرضيهما معا؛ وهذا بكل تأكيد ما يسعى إليه البنادقة: بأن يسترجعوا نفوذهم بالعاصمة البيزنطية وامتيازاتهم التجارية التي أغنتهم وأرجعتهم سادة في القسطنطينية، وعليه قبل الدوق اقتراح الامبراطور وتوصلاً إلى عقد اتفاق سنة 1126م. ذلك الذي اعترف فيه هذا الأخير مجددا بالامتيازات التي منحها والده "ألكسيس" للبنادقة منذ سنة 1082م¹⁰.

2.2 معاملة الامبراطور "مانويل كومنين" للبنادقة المقيمين بالقسطنطينية:

ظَلَّت العلاقات بين الطرفين تتراوح بين مدّ وجزر، فبعد عودة البنادقة إلى القسطنطينية، عادوا إلى سلوكياتهم المتعجرفة وتسلبتهم التجاري على حساب البيزنطيين إلى حدّ المساس بشخص الإمبراطور "مانويل كومنين"¹¹. وما زاد الطين بلة؛ هو نشوب خلاف شديد بين البنادقة والبيزنطيين خلال التحالف الذي جمع الدولتين ضد الحملة العسكرية التي شنها "روجر الثاني" النورماني سنة 1147م، حين أبدى أحد البنادقة السخرية والاستهزاء وعدم احترام لشخص الامبراطور. ومع تواصل التهكم من الطرف البندقي، كان من الحكمة ألاّ يكون رد "مانويل كومنين" فوراً، نظراً للموقف السياسي الحرج آنذاك، لكن فيما بعد كان رده فعّالاً وشرساً ودام إلى غاية 1172م؛ فتمحورت سياسته في مجملها اتجاههم على النحو التالي:

-عدم تجديد الامتيازات المعهودة لهم من قبل والده ألكسيس سنة 1082م؛ تلك التي فتحت لهم مجال التفوق التجاري،

-التمييز بين البنادقة المقيمين بالقسطنطينية¹² عن التجار منهم،

-الرغبة بنقل الحرب ضد النورمان إلى إيطاليا للقضاء على خطرهم نهائياً جنوباً،

ثمّ يُواصل محاربة الألمان وقائدهم "فريدريك باربروس" شمالاً؛ بهدف استكمال

مشروعه بالاستحواذ على إيطاليا وبحر الأدرياتيك¹³ ويضرب بذلك عصفورين بحجر واحد، يقضي نهائيا على قوّة البندقية ويصبح هو الحاكم الأول بأوروبا، وبعد استئناف العلاقات خلال خمسينيات وستينيات القرن 12م، عمد الامبراطور إلى تقليص حجم نفوذ البنادقة التجاري بعاصمته؛ فمنح عدّة امتيازات اقتصادية للجاليات الإيطالية الأخرى -البيازنة والجنوين- سواء منهم التجار أو المقيمين هناك بين سنتي (1169-1170م)¹⁴. والأكيد أنّ هذا الإجراء قد ساهم في وقوع اصطدام بين أفراد الجاليات بالقسطنطينية، فنتج عن هذا الأخير؛ مصادرة أملاك البنادقة هناك بعد محاكمتهم¹⁵. فقرّر الدوق البندقي "ميخائيل الثالث" إزاء ذلك، استدعاء البنادقة ومنعهم من التعامل التجاري مع البيزنطيين¹⁶.

-الأمر باعتقال كل البنادقة المتواجدين بالإمبراطورية في 12 مارس 1171م ومصادرة أموالهم وثرواتهم ووضعها تحت الحراسة؛ وذلك مباشرة بعد عودتهم إلى هناك¹⁷ محملين بالبضائع والأموال¹⁸. وهنا شهد المؤرخ "كيناموس" على شدة امتلاء السجون البيزنطية وحتى الأديرة منهم! ولم يتمكن من الهروب إلا عدد قليل منهم، تمكنوا بالنفّاذ بجلودهم إلى البندقية ليلا¹⁹. ولم تتفق الدراسات في تفسير سبب هذا القرار التعسفي الذي اتخذه الامبراطور اتجاه البنادقة، فبين الرغبة في معاقبتهم أو الطمع في أموالهم وثرواتهم لمآربه السياسية والتوسعية الخاصة بإيطاليا وبلاد البلقان وأنطاكية أو لمجرد التنفيس عن كرهه وغضبه الشديد منهم حين رفضوا نقل الحرب إلى أرض إيطاليا²⁰، فانتقم منهم. كلّها احتمالات واردة ومنطقية.

-كما لجأ جنوده إلى تسميم مياه الشرب والخمور التي كان يشرب منها البنادقة:
وهذا في إطار الحملة العسكرية التي شنها الدوق ضد الإمبراطور في سنة 1172م²¹؛
فكان السبب المباشر في إفشال هذه الأخيرة وانسحاب الجيش البندقي من الأرخبيل
اليوناني²².

ازداد الوضع السياسي تأزماً حين تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية أباطرة
ضعاف الشخصية لا يملكون من أمرهم شيئاً؛ بداية من "ماريا الأنطاكية" الوصيّة
الشرعية على ابنها "ألكسيس الثاني"²³، وميلها الزائد الذي أبدته إزاء الجالية
الإيطالية وما خلف ذلك من توتر شديد بالقسطنطينية إلى حدّ نشوب حرب
أهلية بين البنادقة والبيزنطيين²⁴. ثمّ وصولاً إلى أسرة "أنجيلوس" التي حكم فيها
كلّ من "إسحاق" (1185-1195م) و"ألكسيس الثالث" (1195-1203م)، وعرفت
فترة حكمهما فشلاً ذريعاً في إدارة أزمات الدولة الداخلية والخارجية²⁵؛ ولقد
ذكرت الدراسات أنّ وضع التهديد كان قائماً في مجمل الأقاليم البيزنطية بتصاعد
قوّة البلغار وتقوّم النفوذ التركي في بلاد البلقان، ناهيك عن الانقسامات العديدة
التي نتجت عن الخلافات السياسية والعسكرية التي استنزفت الإمبراطورية²⁶.

فنتج عن ذلك هروب ابن "إسحاق أنجيلوس" المخلوع والمسجون ذلك المدعو بـ
"ألكسيس الصغير" إلى أوروبا لطلب المساعدة من صهره حاكم ألمانيا "فيليب دو
سواب"²⁷ لاسترجاع العرش الامبراطوري وحقّه المسلوب²⁸.

ولم يدرك الوريث الشرعي للإمبراطورية البيزنطية أنّ ما أقدم عليه؛ ليس
طلب النجدة والمساعدة لاسترجاع عرشه فحسب، إنّما استدعاء للعدو مهما كانت
جنسيته ولا يهم إن كانوا على دين واحد أم لا، فقد فتح له باب الموت بذراعيه.
فكان الوبال الذي جلبته بيزنطا لنفسها! خاصة بعد أن انتشرت مشاعر الحقد

والكره لدى اللاتين المقيمين في القسطنطينية والغرب ككل اتجاه البيزنطيين نظير سياسة أباطرتهم التعسفية اتجاههم، فتولدت لديهم الرغبة بالانتقام. وتَجَسَّدت حوصلة تلك الوقائع على شكل حملة صليبية رابعة²⁹، شهد لها التاريخ بأنّها أهلكت الحضارة البيزنطية أيّما هلاك، واستنزفت ثروات الإمبراطورية والقسطنطينية والأمر من ذلك أنّها اعتدت على شرف المسيحية هناك³⁰. أما من الناحية المادية؛ فقد اكتسبوا الكثير من الأراضي والإقطاعات، فكان للبنادقة نصيب الأسد من الغنيمة!

3. . - المكتسبات الإقطاعية والامتيازات التجارية للبندية بعد تأسيس الإمبراطورية اللاتينية سنة 1204م:

وبعد الانتهاء من مراسيم تنصيب الإمبراطور اللاتيني، حان الوقت لتقسيم ممتلكات وثروات الإمبراطورية البيزنطية بين الصليبيين والبنادقة؛ وذلك بموجب اتفاقية مارس 1204م، فتكوّنت على إثرها لجنة مؤلفة من اثني عشر عضوا - بالتساوي بين الطرفين-، على أن يكون نصيب الإمبراطور خمس اثمان العاصمة وربع الممتلكات، وتتبقى ثلاثة أرباع منها يتقاسمها فيما بينهم البنادقة والصليبيون³¹.

لنلقي الآن نظرة على ما اكتسبته جمهورية البندقية من الحملة الصليبية الرابعة، التي أشادت جلّ المصادر التاريخية بفضل الدوق "دوندولو" في تنعم الغرب والأوروبيون بتلك المكاسب في الشرق³². فتنوّعت ممتلكاتهم هناك -باعتبارها المستفيد الأول والأكبر منها- بين الاقطاعات والممتلكات وجلّ الامتيازات المرافقة لها؛ فازدهت على إثر ذلك التجارة البندقية وتوسّعت!

اكتسبت البندقية أفضل المواقع الاستراتيجية من أراضي خصبة وموانئ جيدة ومواقع بحرية مهمة، فأكد أنها ستسعى لخدمة مصالحها التجارية بالدرجة الأولى؛ لكون التجارة مفتاح قوة وهيمنة البنادقة على العالم الاقتصادي والتجاري آنذاك؛ والدليل على ذلك أن كل تلك المكتسبات واقعة على الطريق البحري الذي يصل الجمهورية بالعاصمة القسطنطينية، والتي توزعت بين بحر إيجه والبحر الأيوني وعلى سواحل الأدرياتيك وجزيرة كريت³³ وتذكر الدراسات أن مجموع تلك الأقاليم قد بلغ طولها 7000 قدم وعدد سكانها بالتقريب ثمانية ملايين نسمة³⁴ والتي سنذكرها كما يلي:

3-1 في القسطنطينية: ونظرا لكون القسطنطينية مدينة النفائس والثروات، فقد حظيت البندقية بنصيب الأسد فيما نتيجة ذكائها وحنكة دوقها السياسية الذي عرف كيف ومتى يستغل الوضع لصالح دولته. لذلك احتفظت البندقية بحمّها المعهود - الذي نالته من امتيازات 1081م- بالقسطنطينية اللاتينية على الشاطئ الجنوبي للقرن الذهبي، كما تحصّلت على ثلث أثمان من العاصمة، إلى جانب أنها امتلكت المستودعات والأسواق ومنازل عديدة، كما ازداد عدد الكنائس والأديرة التي نالتها؛ وأخص بالذكر هنا كنيسة "آيا صوفيا" الشهيرة³⁵. فأكدت الدراسات أن ممتلكاتها بالعاصمة البيزنطية امتدت من القرن الذهبي إلى محاذاة قصر "بلاكرن"³⁶. هذا بالإضافة إلى منح البنادقة حق الإشراف على المضائق والممرات البحرية التي توصل إلى القسطنطينية³⁷. ثم استولى البنادقة على أضخم القطع الأثرية التي تُزيّن ميدان السباق في العاصمة البيزنطية. وهي الأحصنة

البرونزية الأربعة، التي حملها الدوق "دوندولو" على متن سفنه إلى البندقية فأضحت زينة لكاتدرائية القديس مرقس³⁸.

2-3 في بحر مرمرية: كما شملت مكتسبات البنادقة جراء سقوط الإمبراطورية؛ جزرا من بحر مرمرية، وأخص بالذكر هنا: "إقليم تراقيا" بجزره الشهيرة مثل "غاليبولي (Gallipoli) التي منحت إلى "جاك فيارو" ليحكمها وغيرها من الجزر الأخرى كـ "أندرينوبل" التي أعلنت الولاء للجمهورية. وهذا إلى جانب عدد من الموانئ التي تمتد على الخط الملاحي الرابط بين البوسفور ومضيق الداردانيل ومن بينها: "هريقلييا" و"رودوستو"³⁹

3-3 في الأرخبيل اليوناني (السيكلاد): بعد أن منحت حق غزو الإقطاعات التي تحصّلت عليها البندقية جزاء تقسيم ممتلكات الإمبراطورية للنبلاء والعائلات الأرستقراطية؛ انتشروا بكل حماس وروح مغامرة لغزو جزر الأرخبيل اليوناني في بحر إيجه؛ إذ استولت عائلة "مارك سانودو" على الجزر التالية: "ناكسوس"؛ التي أصبحت دوقية بحكم أنّها الأكبر والأهم، وبالإضافة إلى "باروس"، و"ملوس" و"أوريني" التي تشاركها مع رفاقه وهم الإخوة "غيزي" الذين سيطروا على جزر "مكينوس وتينوس"؛ ولم يكتفُ بذلك، إنّما توسعوا إلى الجنوب الغربي فحازوا: "سيرغو" و"سيرغوتو"، إلى جانب وجزر "ليمنوس" و"سكيروس" وغيرها على الواجهة البحرية للأرخبيل. ناهيك عن "مارك دوندولو" الذي استحوذ على جزيرة "أندروس"، وغيرهم من رفاق "سانودو" الذين تقاسموا الأرخبيل اليوناني رفقة نبلاء آخرين إيطاليين يعد أن سمحت لهم البندقية بتأسيس مستوطنات هناك للممارسة التبادلات التجارية وحمايتها من القراصنة⁴⁰.

4-3 في البيلوبونيز (المورة): كما امتلكت الجمهورية عددا من الجزر اليونانية؛ فبداية حازت على الجزء الجنوب الغربي من جزيرة البيلوبونيز (المورة)؛ فأضح هناك البنادقة مجاورون للمملكة "أخيه" التي أسسها كل من "وليام دو شامبلت" وجيوفرو دو فيلاهدوين"، وبعد ترسيم الحدود بين الطرفين، تبادلوا الوعود بالحرية التجارية والسماح للبنادقة بالاستقرار هناك وامتلاك كنيسة⁴¹.

ومن أفضل ممتلكات البنادقة بالمنطقة، مينائي "كورون ومودن" الواقعان على خليج مسينا؛ وتجدر الإشارة إلى أنَّهما انضوا تحت راية الجمهورية منذ 1206م بعد الاستحواذ عليهما وتعيين حكام لهما. لقد كانا من أعظم مكاسبها بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط لنقاط قوتها المتعددة: فهما محطتين تجاريتين يتوسطان الطريق البحري الرابط بين الجمهورية إلى البحر الأسود وصولا إلى مصر والشام وآسيا الصغرى، بمثابة نقطتي مراقبة جد حساسة على كل البحار؛ ناهيك عن حصانتهما الطبيعية ومناعتها القوية فكانا ملجأ للسفن والأساطيل من أهوال البحر وأخطار القراصنة والأعداء⁴².

هذا وبالإضافة إلى الممتلكات السابقة؛ قد ذكرت الدراسات التاريخية أنَّ بارونات جزيرة "نيقروبولنت" الإيجيين⁴³؛ قد قدّموا عرضا مغريا لدوق البندقية مقابل أن تشملهم حماية البنادقة؛ وتضمّن العرض في الولاء والإخلاص التام للجمهورية ودفع ضرائب سنوية تبلغ 21 إبيريرون⁴⁴ من الذهب وهدايا قيّمة للدوق، بالإضافة إلى حق ممارسة التجارة وحق الملكية الذي شمل حيّا كاملا وكنيسة وممثلين إداريين عن الجمهورية، كما تتوارث العلاقات بين الطرفين بالزواج! فما كان أمام البنادقة إلّا القبول السريع بهذا العرض الذي يفتح لها

المجال لتوسيع نفوذها السياسي والتجاري بالمنطقة، وعليه عيّنت حاكما على "نيقروبونت" التي سعت بكل الوسائل للمحافظة عليها وعلى ممتلكاتها هناك⁴⁵.

أما بالنسبة لجزيرة "كريت" بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط؛ فقد اشتراها البنادقة بـ 1000 مارك فضي من القائد "بونيفاس دو مونفرا" في سنة 1212م⁴⁶. وهذا بعد أن استرجعوها بالقوة من بين أيدي الجنويين وقائدهم الكونت "أنريكو بسكاردي". وقد اضطرت الجمهورية إلى تطبيق نظام إداري وعسكري صارم بالجزيرة نتيجة الثورات الداخلية المتكررة ضد الإدارة البندقية؛ كتوسيع نفوذها بإقطاع بعض من أراضيها وتوزيع قوات فرسانها المحاربين في أعماق "كريت" حتى تتمكن من إحكام قبضتها عليها والتصدي لتلك الانتفاضات؛ ليتفرغوا لاحقا إلى الممارسات التجارية. فكان هؤلاء الفرسان؛ محاربين ومستوطنين وتجارا محترفين! وبعد هذه المرحلة، عيّنت الحكومة البندقية حاكما على الجزيرة دُعي بـ "دوق كريت أو كانديا"؛ ثم قُسمت إلى ثلاث مقاطعات كبرى⁴⁷ وعليه تمّ للبنادقة السيطرة التامة على جزيرة "كريت" ذات الموقع الاستراتيجي الهام بالنسبة لنقاط العبور الملاحي في شرق البحر الأبيض المتوسط.

3-5 في البحر الأيوني: استحوذت البندقية على الجزر الكبرى من البحر الأيوني والتي منها " كيفالونيا"، و"زانتى" اللتان أعلنتا ولائهما لها بعد سقوط القسطنطينية مباشرة. بيذا أنّ "كورفو" و"سان مور" صُعّب السيطرة عليهما لكونهما حليفين للجنويين، فبعد محاولات عدّة؛ قرّرت في الأخير منح "كورفو" للنبلّاء ليحكموها وراثيا مدّة عشر سنوات⁴⁸. قبل أن يستردها "ميشال أنجيلوس" (1214-1254م)؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا النزاع القائم على مدينة "كورفو"

ليس إلّا دليلاً قاطعاً على أهميتها الاستراتيجية ودور موقعها بالنسبة للملاحة
البندقية، لذلك تنافست عليها ضد جنوة⁴⁹.

وبحكم ما سبق ذكره؛ دُعي الدوق البندقي "انريكو دوندولو" بـ "سيد الربع ونصف
ربع الإمبراطورية البيزنطية"؛ ولقب "بودستا"⁵⁰ على الممثل البندقي بالقسطنطينية
وذلك بحكم القوة والسلطة السياسية والامتيازات الاقتصادية التي اكتسبها
البنادقة بالعاصمة البيزنطية وفي كلّ أرجاء الإمبراطورية⁵¹. وعادت تلك القوة
والنفوذ الذي تمتعت بهما البندقية بالخير والفائدة على ممارساتها التجارية
بالمنطقة التي توسعت في كل بقعة اكتسبتها.

4. توسع الشبكة التجارية لجمهورية البندقية بعد 1204م: ازدياد حجم واردات
نجحت البندقية بفضل حنكها السياسية وديبلوماسيتها وبقوة بحريتها التي
لا يمكن أن تنجح دون الخدمات الجليّة والإخلاص الذي تفانى النبلاء في تقديمه،
بالتمسك بأجود الأقاليم وأحسن الموانئ ونقاط العبور الملاحي؛ التي تستخدم
الجمهورية بتوسيع تجارتها بالحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. وبحكم
جودة تلك الأراضي وغناها، نالت البندقية خيراتها وثرواتها فازداد حجم وارداتها
من تلك المناطق بحيث:

1-4 الحبوب: لقد جادت عليها جزيرة الكريت في "كانديا"⁵² خاصة؛ وجزيرة
"نيقروبونت" والبيلوبونيز، بالإضافة إلى "كورون ومودن" بمختلف أنواع الحبوب
من القمح والحنطة، وذلك لخصوبة تلك الأراضي ومناخها المناسب. لذلك شحنت
السفن البندقية المحاصيل من الحبوب إلى مستودعاتها ومنها إلى أوروبا⁵³.

2-4 الخمور: أشادت الكتابات التاريخية بجودة كروم جزيرة الكريت وخمور "مالفوازي" الشهيرة التي كان التجار البنادقة يجوبون شرق وغرب البحر الأبيض المتوسط وحتى الفلاندرز لنقلها⁵⁴. فهذا الألماني "بيير ريندفليش"؛ بعد أن حجَّ قصد "كانديا" ومنها عائداً إلى البندقية شاهد أسطولا صغيرا يرافق قافلة تحمل نبيذ مالفوازي وخمر موسكا. وأكد "هايد" أن منتج تلك الكروم عرف تراجعاً محسوساً في تلك الفترة إذ تراوح بين 6000 أو 7000 برميل بعد أن كان يقارب 30000 برميل⁵⁵. ولم تكن الخمور منحصرة فقط في جزيرة الكريت، إنما كان البنادقة يستوردونها أيضاً من جزيرة "قبرص" و"نيقروبونت" وإلى جانب "كورون ومودن" وغيرها⁵⁶. خاصة مع كل الإعفاءات الضريبية التي نالها أولئك التجار في نقل هذا المادة بأغلب المقاطعات اللاتينية في شرق البحر الأبيض المتوسط⁵⁷.

3-4 الحرير والمنسوجات القطنية: اشتهرت المدن الأوروبية وبما فيها الجمهوريات الإيطالية بصناعة الحرير وعلى رأسها البندقية التي عنت بها عناية كبيرة؛ فكانت تستورد من الشرق الأقمشة الصوفية والحريرية⁵⁸، وأخصّ هنا الحرير الذي يجلبه البنادقة من مملكة "آخيه" ومن "نيقروبونت" على حالتيه الخام والمصنّع⁵⁹. أمّا بالنسبة للقطن؛ فقد اشتهرت زراعته في الجزر اليونانية وبالأخص في جزيرة "قبرص" الغنية بالمنتوجات الصوفية والملونة. وحرص التجار على استيراد هذه الأقمشة بمختلف أنواعها من هناك إلى الموانئ الإسلامية والأوروبية⁶⁰.

4-4 الزيت والعسل: استوردت جمهورية البندقية زيت الزيتون من مصادر إنتاجه الكثيرة في الإمبراطورية اللاتينية الجديدة، فكانت أغلب الأقاليم والجزر تزرع فيها أشجار الزيتون مثل: "نيقروبونت" و"بيلوبونيز" وإلى جانب مملكة "آخيه"

و"كورون ومودن" وبالإضافة إلى جزيرة "كريت" الغنيّة⁶¹. أما بالنسبة للعسل؛ فقد كان مطلوبا جدا في العصر الوسيط واعتبر من أغنى المنتجات الاستهلاكية، واشتهرت معظم جزر الأرخبيل واليونانية بإنتاجه وزد عليها إقليم "إيوبيا" وجزيرة كريت⁶² وغيرها.

4-5 سلع أخرى: ازدهرت تجارة البندقية في الشرق بداية القرن 13م، ولم ينحسر هذا الازدهار على المواد الأساسية فحسب، إنّما أيضا توسّعت تجارة المعادن، التي اعتبرتها الحكومة البندقية مهمة وضرورية بالقدر ذاته مع المواد الغذائية الأخرى كالقمح والزيت والملح، ذلك بهدف استكمال تطورها التجاري والاقتصادي لابتدا من توفير المعادن لسكّ العملات وصناعة الأسلحة. لذلك كانت تنقل من جزيرة "قبرص" و"كريت": النحاس، والذهب بالإضافة إلى القصدير والحديد⁶³.

كما نقل البنادقة الملح والسكر من جزر "قبرص" الغنية بإنتاجهما و"كريت" التي يأتيها من آسيا الصغرى؛ لذلك نلاحظ أنّ التجار ينقلوهما بكميات كبيرة، لكثرة استخداماتهما سواء في ميدان الطبخ أو الحفظ أو حتى في التصنيع⁶⁴. هذا وإلى جانب أنهم استوردوا الفواكه الجافة من البيلوبونيز خاصة منها العنب والتين المجففين⁶⁵، والأجبان الكريمية الغنية، ونقلوا من جزر الأرخبيل اليوناني الكبيريت والرخام، بالإضافة إلى القرمز وحبّات الأرجوان من مملكة آخيه ومن ميناء كورون⁶⁶.

5. الخاتمة:

وبحكم ما سبق ذكره، نجحت جمهورية البندقية، رغم كلّ المخاطر السياسية والدينية والتهديدات الدولية في تأسيس إمبراطورية في شرق البحر الأبيض

المتوسط؛ فبعد أن سَخَّرت كلَّ إمكانياتها المادية والمعنوية في بلوغ هدفها المنشود؛ وسعي البنادقة الحثيث -شعبا وحكومة- بقوة عزمهم وبإيمانهم المخلص إلى تحقيق ذلك، ولدت تلك الإمبراطورية اللاتينية التي أحيتها على أنقاض القسطنطينية البيزنطية، وتوزعت هناك سلطتها على أجود الأقاليم وأحسن الموانئ الدولية في العصر الوسيط. فلم تكن لتبلغ هذه المكاسب منذ مستهل القرن 13م، لولا قوتها البحرية والحربية المشهود لها ودفاعها المستميت عن مصالحها التجارية المحضة ونفوذها الاقتصادي. فتوسعت على إثر هذه الطفرة؛ شبكة معاملاتها التجارية بالمنطقة وتعددت أسواقها وامتألت خزائنها؛ واتضح للبنادقة مبكرا أنَّ التجارة والملاحة من أولى استراتيجياتها، بعد أن أدركت؛ بأنَّ التجارة هي منفذها الوحيد ليس فقط نحو التقدّم وتحقيق الرخاء وبلوغ الرفاهية، إنّما للبقاء على قيد الحياة في مدينة الخليجان الأديراتيكية.

6. قائمة المراجع:

- 1- . بلخير نسيمه، (2008-2009). انحراف الحملة الصليبية الرابعة وقيام الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 600-657هـ (1204-1261م)، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، الجزائر.

- 2- عداد تسعديت، (2014-2015)، علاقة البندقية بالإمبراطورية البيزنطية منذ القرن 12م إلى غاية سقوطها في 1204م، رسالة ماجستير غير منشورة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
- 3- زيتون عادل، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط في القرنين 13 و14م، دار دمشق، لبنان، 1980.
- 4- زيتون عادل، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دمشق، لبنان، 1980.
- 5- Anne, Comnène, Alexiade, Règne de l'empereur Alexis I Comnène (1081-1118), trad : Bernard Leib, S.J, Les Belles Lettres, Paris, 1943, T.1-2.
- 6- Bréhier, Louis, Le monde Byzantin, la civilisation Byzantine, Albin Michel, Paris, France, 1950.
- 7- Buenger, Louise Robert, (1995) Il sistema monetario, Storia di Venezia. Enciclopedia- Treccani : <https://treccani.it>
- 8- Byzantion : Revue international des Etats Byzantines, Paul, Grindor, et Henri Grégoire, T. 35, F.1, 1965.
- 9-Chalandon, Ferdinand : : Les Comnènes : Jean II Comnène (1118-1143), et Manuel I Comnène (1143-1180), Picard et fils, Paris, France, 1900 .
- 9- Clari, Robert : : La Conquête de Constantinople, Honoré Champion, Paris, France, 1956.
- 10- Diehl, Charles: Une République Patricienne Venise, Flammarion, Paris , France, 1928.
- 11- Frolow, A : Recherches sur la déviation de la IVe croisade vers Constantinople, PUF, Paris, 1955.
- 12- Gibbon, Edouard : Décadance et Chute de l'Empire Romain, A. Desrez, Paris, France, T.I

- 13- Heyd, William : Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, Leipzig, Paris, France, 1886, T.I.
- 14- Jacoby, David : Medieval Trade in the Eastern Mediterranean and beyond, London and New York, 2018.
- 15- Kinnamos, Jean : Chronique, trad, J. Rosenblum, Belles lettres, Paris, France, 1972.
- 16- Lane, C. Frédéric: Venise, une république maritime, Flammarion, France, 1895.
- 17- Le Compte, De Mas-latrie : : Relation et Commerce de l'Afrique Septentrionale avec les Nations Chrétiennes, Firmin Didot, Paris, 1886.
- 18- - Marin, Carlo Antonio: Storia Civile e polotica del Commercio de' Veneziani, Venegia, 1800, T.5.
- 19- Ostrogorsky, Georges : Histoire de l'Etat Byzantin, trad : J. Gauttard, Payot, Paris, France, 1977.
- 20- Thiriet, Freddy : Histoire de Venise, «Que Sais-je », PUF, Paris , France, 1969.
- 21- Vasileiv, AA, Histoire de L'Empire Byzantin, trad, P. Rodin, A.Bourguina, Picard, Paris, France, 1932, T.I.
- 22- Villehardouin, George : La Conquête de Constantinople, Garenier Flammarion, Paris, France, 1969.

7. الهوامش:

¹ - لمعرفة تفاصيل أكثر عن الخطر النورماني الذي هدد الإمبراطورية البيزنطية وجمهورية البندقية وتداعيات ذلك وعن المواجهات التي دارت بينهما، يرجى العودة إلى: (Anne, Comnène, Alexiade, Règne de l'empereur Alexis I Comnène (1081-1118), trad : Bernard Leib, S.J, Les Belles Lettres, Paris, 1943, T.1-2)

² -Charles, Diehl: Une république patricienne Venise, Ernest Flammarion, Paris, 1916, p.33 ; David, Jacoby: Medieval Trade in the Eastern Mediterranean and beyond, London and New York, 2018, p.347.

³ - ولمعرفة المزيد عن الامتيازات البندقية في الإمبراطورية البيزنطية وبقية الجاليات الإيطالية وعن أحيائها التجارية بالعاصمة القسطنطينية، انظر إلى: (عادل، زيتون: العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، "بحث في النشاط التجاري للجمهوريات الإيطالية في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ق13-14 م"، دار دمشق للطباعة، د.ت، ص 65-66 وما بعدها من صفحات).

⁴ - وقد عمد يوحنا إلى اتخاذ هذا الإجراء، حين اعتقد بزوال الخطر النورماني السياسي-نتيجة ضعف وتقهقر دولتهم- الذي كان يُهدّد امبراطوريته خاصة خلال حملات القائد "روبرت جويسكارد" دوق أبوليا وكلايريا بين سنتي 1068-1081م، وورث أبناؤه (يوهيموند الأول، وروجر الثاني، ووليام الثاني أخيراً) من بعده مشاعر الكراهية والحقّد ضد البيزنطيين؛ فسّّنوا غارات عليهم -1107، 1147، 1185م- غير أنّها باءت كلّها بالفشل. لتفاصيل أكثر عن الخطر النورماني الذي حدّق بالإمبراطورية البيزنطية، انظر إلى: (Ostrogorsky, Georges: Histoire de l'Etat Byzantin, trad: J. Gauttard, Payot, Paris, France, 1977, pp. 437-438 ; Frolov: Recherches sur la déviation de la IV croisade vers Constantinople, PUF, Paris, France, 1955, P.12.)

⁵ - عادل زيتون: العلاقات السياسية والكنيسية بين الشرق والغرب اللاتيني في العصور الوسطى، دمشق، لبنان، 1980. ص259

⁶ -Jean Kinnamos: Chronique, trad, J. Rosenblum, Belles lettres, Paris, France, 1972, p.181.

⁷ -Ibid.

⁸ - وتذكر الدراسات التاريخية أنّه كان في طريقه إلى الشام أو بيت المقدس. (انظر إلى: عادل زيتون: العلاقات الاقتصادية، ص259؛ Ferdinand, chalongdon: Essai sur le Règne d'Aléxis Ier Commène (1081-1118), Picard et fils, Paris, France, 1900, p.157.)

عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 259-260 -Ibid ; 9

10- نفسه، ص ص 258-260؛ Chalondon, p.157.

11-Kinnamos, Op.Cit,p.181-182.

12- فأطلق عليهم لقب "البورجوازية اللاتينية"، أملا منه لأن يأخذوا بالاعتبار مدلوله الحضاري، خاصة بعد أن

تمردوا بتصرفاتهم المسيئة والتي شهد عليها المؤرخ "كيناموس". (لتفاصيل أكثر إلى: Op.Cit, p.181.)

13- بادرت البندقية سريعا أمام هذه المستجدات الطارئة والخطيرة في آن واحد إلى محاولة عقد صلح سريع مع

الألمان خلال سنة 1155م، بحكم المبدأ السياسي الذي يقول أن "عدو عدوي صديقي"، لكن ذكر عادل زيتون

أن ذلك الصلح لم يدم إلا وقتا قصيرا بسبب تعاظم القوة الألمانية بالمنطقة وانتشار نفوذها بصفة سريعة، وهذا ما

استلزم عودة العلاقات بين البنادقة و"مانويل كومنين" لمواجهة الخطر الداهم بهما معا. (انظر إلى: المرجع السابق،

ص ص 261-262.)

14- وتذكر الدراسات أن ما أقدم عليه الامبراطور قد سبب توتر العلاقات بينهما مجددا، خاصة بعد أن عمل

على حدّ نفوذ البنادقة التجاري وتسويتهم بمنافسيهم اللدودين وهم الجنويين والبيازنة؛ فكان هدف "مانويل" هو

تقوية ارتباطه بهم بدلا من البنادقة. (لتفاصيل أكثر إلى: نفسه؛ -Ostrogorsky, Op.Cit, pp.437-

438 ; Frolov, Op.Cit, pp.13-14.

15-Chalondon, Op.Cit, p.587 ; Kinnamos, Op.Cit, p.182.

ولقد تحدّث المؤرخ "كيناموس" بسجن البنادقة في سجون الامبراطورية بعد محاكمتهم وعقوبة المصادرة التي تعرّضوا

لها.

16 -Ibid ; William, Heyd: : Histoire du Commerce du Levant au

Moyen Age, Leipzig, Paris, France, 1886, T.I, p.217; عادل زيتون: المرجع السابق،

ص 263.

17 - وينبغي التنويه هنا إلى أن البنادقة قد عادوا بعد البعثة التي بعثها "مانويل كومنين" إلى الدوق، حين طالب

بعودة العلاقات بين الطرفين -حين علم خطورة ما أقدم عليه والخسائر التي ستجني عن ذلك خاصة مع تقدم

الخطر الألماني- كما قدّم وعود الأمان والسلامة لأهالي وتجار البندقية، فقبل الدوق بتلك المساعي التي بدت له

طيبة وأمر بعودة البنادقة. لتفاصيل أكثر انظر إلى: عداد تسعديت: علاقة البندقية بالإمبراطورية البيزنطية منذ القرن

- 12م إلى غاية سقوطها في 1204م، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، رسالة ماجستير غير منشورة، 2014-2015، ص 115.
- 18- وذكر هايد أنَّ عددهم بلغ عشرون ألف بندق. (انظر إلى: Op.Cit, p.217.)
- 19- كما أشار هذا المؤرخ وهايد إلى أنَّ "مانويل كومنين" لم يُطْلَ اعتقال البنادقة؛ فقد أطلق سراحهم خلال أيام فقط. (انظر إلى: Op. Cit. (p.218, Heyd, Op.Cit, p.182.
- 20- لتفاصيل أكثر عن ذلك، انظر إلى: (عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص ص 115-116).
- 21- تلك الحملة التي جَهَّزَت لها 100 سفينة حربية و 20 ناقلة، هاجم خلالها البنادقة على جزر "خيوس" و "راجوزا"، بالإضافة إلى "نيقروبول". فعلى الرغم من عدم وقوع أية مواجهة مباشرة بين الطرفين إلا أنَّ خسائر الحملة كانت كبيرة نتيجة الطاعون المنتشر بين صفوف جنود البندقية وتدهور صحتهم فمات منهم الكثير. (لتفاصيل أكثر، انظر إلى، عداد، تسعديت: نفسه، ص ص 116-117).
- 22- ولمعرفة المزيد عن نهاية هذه الحملة وما نتج عنها. يرجى العودة إلى: (عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 266-268؛ Chalondon, Op.Cit, pp.589-591.)
- 23- وهي زوجة مانويل كومنين.
- 24- انظر تفاصيل هذه الأحداث الواقعة خلال عهد الامبراطور "ألكسيس الثاني" وكيف استتبَّ فيها "أندرونيك" النظام وحكمها بين سنتي (1183-1185م) عند: (عادل زيتون: المرجع السابق، ص ص 269-270؛ عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص ص 119-120
- Edouard, Gibbon: Décadence et Chute de l'Empire Romain, A.Desrez, Paris, France, T.I, pp.266-267; Frolov: Op.Cit, pp.26-27 ; Heyd, Op.Cit, p.
- 25- إسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسؤولية انحرافها ضد القسطنطينية، دار المعارف، مصر، 1982، ص ص 36-38؛ A. A Vasiliev :, Histoire de L'Empire Byzantin, trad, P.Brodin, A.Bourguina, Picard, Paris, France, 1932, T.II, pp 83-84.
- 26- Ibid ; Freddy, Thiriet: Histoire de Venise "Que sais-je », PUF, Paris, France, 1969, p.37.
- 27- بحكم أنَّه تزوج من ابنة "إسحاق أنجيلوس" وهي "إيرين" .

28- (Jeune Alexis) البالغ من العمر اثني عشر سنة فقط، وتذكر الدراسات أنه تمكّن من الهروب على ظهر سفينة إيطالية إلى ألمانيا. (لمعرفة المزيد عن ذلك، انظر إلى: عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 121؛ Gibbon, Op.Cit, p.707.)

29- هي الحملة التي دعا إليها البابا "إنوسنت الثالث" (1198-1216م)، بعد أن شكّلت البابوية قوّة سياسية لتحقيق مصالحها الدنيوية. فبعث هذا الأخير بدعوات إلى ملوك أوروبا المسيحيين لشقّ حملة صليبية جديدة لاسترجاع بيت المقدس من بين أيدي المسلمين. فتحمس لها الأمراء والفرسان والنبلاء خاصة بشمال فرنسا أين شرع بالتبشير للحملة، وانضمّ إلى صفوف هؤلاء مجموعة من الفلامن والانجليز ومن الصقليتين. فتمّ تحديد وجهة الحملة التي ستكون مصر ومنها إلى فلسطين. وتبقت في الأخير مسألة نقل الجنود والحجاج والمؤونة والعتاد، وهنا برزت جمهورية البندقية بقوّة ملاحتها التجارية والحرية وصلاية سفنها؛ فاتفق الدوق "أنريكو دوندولو" مع الصليبيين بعد تحديد ثمن النقل إلى ما وراء البحر ومختلف الامتيازات والغنائم التي ستحصل عليها مدينة "القديس مرقس"، وتعهّد في الأخير بتقديم 50 سفينة حربية خدمة للرب وللمسيحية. فكان لهم ذلك. غير أنّ الحملة انحرفت أول الأمر سنة 1202م إلى مدينة "زارا" بدالماسيا التي سلبها ملك المجر؛ فأراد البنادقة استرجاعها خاصة بعد وقوع الصليبيون بضائقة مالية جعلتهم يتأخرون في تسديد ديونهم؛ فاضطروا إلى القبول بعرض الدوق. وأكّدت المصادر التاريخية أنّ التغيير الثاني الذي منّ مسار الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية كان إجراءً عفويا وبمحض الصدفة؛ بدعوة من "ألكسيس الثالث" ابن "إسحاق أنجيلوس" ليساعده على استرجاع عرش والده مقابل أن يقدم لهم هو والامبراطورية مساعدات لاستكمال الحملة الصليبية إلى بيت المقدس. وإزاء ذلك توجّه الصليبيون نحو العاصمة البيزنطية، واستردوا الحكم لألكسيس في أوت 1203م. لكن خلف هذا الأخير بوعوده التي تفاخر بتقدمها للصليبيين وبعد محاولات عديدة واجتماعات للوصول إلى اتفاق، اشتدّ التوتر بين اللاتين والبيزنطيين بالقسطنطينية فانحاز الامبراطور لهم على حساب اللاتين، فنتج عن ذلك وقوع اشتباكات بين الطرفين أدّت إلى انقلاب عسكري تولى على إثره "ألكسيس الخامس دوقاس" والمدعو ب "مورزفل" (Murzuphle) عرش الإمبراطورية في جانفي 1204م. ولم يكن هذا الأخير بأحسن من سابقه ففهم الصليبيون أنّهم لا ينتظروا المساعدات، فقرروا بعد اتفاق فيما بينهم (البنادقة والصليبيين) في مارس 1204م، على إسقاط القسطنطينية وتأسيس لامبراطورية لاتينية يتقاسمونها حسب ما اتفق عليه. وتمّ لهم في الأخير ذلك، وعيّنوا الكونت "بدوين" امبراطورا في 9 ماي 1204م. لتفاصيل أكثر عن هذه الحملة ومجرياتها، انظر على: Robert, Clari: La Conquête de Constantinople, Honoré Champion, Paris, France, 1956, pp.13-15 et autres ; George, Villehardouin: La

Conquête de Constantinople, Garenier Flammarion, Paris, France,
1969, pp.70 et autres

عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 104 وما بعدها من صفحات.

³⁰ -للتعمق أكثر في نتائج الحملة الصليبية الرابعة على البيزنطيين والإمبراطورية المسيحية، (انظر إلى: عداد
تسعديت: المرجع السابق، ص 70 وما بعدها).

³¹ -تعرّف على نصيب الإمبراطور والقادة الصليبيين بالتفصيل عند: Clari, Op.Cit, p.104 ;
Ostrogorsky : Op.Cit,

p.445 ; Vasiliev : Op.Cit, T.2, p.113 ; Byzantion : Revue
international des Etats Byzantines, Paul, Grindor, et Henri
Grégoire, T. 35, F.1, 1965..77- 76 عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص

³² -Diehl, Op.Cit, pp. 52-53 ; Vasiliev, T.2, p.114.

³³ -وتجدر الإشارة إلى أنَّ شساعة نصيب البندقية من ممتلكات وأقاليم بعد تأسيس الإمبراطورية اللاتينية سنة
1204م؛ أدى إلى صعوبة التحكم السياسي والتسيير الإداري لها، وضعف قواتها البرية إذا ما قارناها بقوة
أسطولها، هذا كله أفضى إلى اقتطاع تلك الأقاليم للعائلات النبيلة حتى تتمكن من تسييرها هي بالاعتماد على
ثروتها وإمكاناتها الخاصة. (لتفاصيل أكثر، انظر إلى: عداد تسعديت: المرجع السابق، ص81. Heyd,
(Op. Cit, T.1, p.270

³⁴ -عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 82.

³⁵ - L, Bréhier: L'Eglise et l'Orient au Moyen Age, les Croisade,
Victor le Coffre, Paris, France, 1907, 2ed, p.168 ; Diehl,
république, p.50.

³⁶ -عادل زيتون: المرجع السابق، ص 114؛ عداد تسعديت: المرجع السابق، ص90؛ Heyd : Op.Cit,
T.1, pp.285-287.

37- نسيمه بلخير: انحراف الحملة الصليبية الرابعة وقيام الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 600-657هـ (1204-1261م)، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 80.

38 - نفسه؛ عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 74.

39 - Heyd, T.1, p.285; Diehl, Op. Cit, p.58.

40- لمعرفة المزيد عن توزيع تلك الجزر، انظر إلى: (عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 82 وما بعدها).

41 - Heyd, T.1, pp.271-272.

42- Eadl زيتون: المرجع السابق، ص 268؛ عداد تسعديت: المرجع السابق، ص 89. Ibid ;

43- وهي جزيرة "إيوبيا" اليونانية في بحر إيجة، كانت من نصيب أحد جنود القائد "بونيفاس" ثم ورعها هذا الأخير على البارونات على شكل إقطاع، فكان أشهرهم الذي ذكرته الروايات التاريخية: صاحب إقطاع "كريستوس" (Kristos) "رافانو داللي كارشيري" (Ravanno delle Carceri) ذو أصل فيروني الذي انتظر حتى وفاة قائده ليعلم الوفاء والولاء للبنديقية سنة 1209م. انظر إلى: (Heyd, T.1, p.281) عادل زيتون: المرجع السابق، ص 264.

44- (Hyperpère): وهي العملة الذهبية للإمبراطورية البيزنطية بعد الإصلاحات التي أجراها الإمبراطور "ألكسيس كومنين" منذ 1082م، وتبلغ قيمته آنذاك 20,5 قيراط. وتجدر الإشارة إلى أن قيمته ظلت ثابتة حتى سقوط القسطنطينية بأيدي اللاتين، وهنا أشارت الدراسة إلى أن دار سك العملة اللاتينية بالعاصمة ظلت تسلك نقودا من مزيج الفضة والنحاس وقطعا نقدية نحاسية إلى غاية 1230م. غير أن أباطرة "نيقيا" ظلوا يتعاملون بالإيبيرون الذهبي حتى عهد الإمبراطور "ميشال الثامن" (1259-1261م) غير أن قيمته عرفت تراجعاً. وهذا لا يعني أبداً أن هذه العملة الذهبية البيزنطية لم تعد موجودة بالقسطنطينية؛ لأنّ نسخته اللاتينية على الرغم من قلّتها كان يتعامل بها في الأسواق إلى غاية نهاية القرن 13م. (لمعرفة المزيد عن ذلك، انظر إلى:

Louise Buenger, Robert: le système monétaire, Histoire de Venise, 1955. Dans : Institut de l'Encyclopédie italienne fondé par : Giovanni

Treccani. In : <https://www.treccani.it>

⁴⁵ - عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص ص 87-88. ولمعرفة النشاط التجاري للبنادقة وتوسعه في جزيرة "نيقروبوليت" ومختلف الأخطار المحدقة به، (انظر إلى: عادل، زيتون: المرجع السابق، 263 وما بعدها من صفحات).

⁴⁶ - وينبغي التنويه هنا إلى أنَّ البنادقة قد حازوا على امتياز المعاملات التجارية مع هذه الجزيرة منذ سنة 1148م، أيَّ خلال عهد الامبراطور البيزنطي "مانويل كومنين". وتمكَّنت البندقية من شرائها بعد سقوط القسطنطينية مقابل أن يمنح الدوق "دوندولو" لبونيفاس، أقاليم بيزنطية كان قد حاز عليها هو الآخر بموجب اتفاقية مارس 1204م. انظر إلى: (عادل زيتون: المرجع السابق، ص 260 وما بعدها).

⁴⁷ - وهي: كانديا، -التي كانت عاصمة الجزيرة خلال العصر الوسيط، لكن الآن "هراقلية (Héraklion)- و" ريتيما، و"سيثي". عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 85 وما بعدها.

⁴⁸ - Heyd, T.1, p.272.

⁴⁹ - يمكن التعمُّق أكثر في التنافس التجاري والحروب العسكرية التي جمعت بين جمهوريتي جنوة والبندقية الإيطاليتين وفي تفاصيلهما بالرجوع إلى: Frederic C. Lane: Venise, une république maritime, Flammarion, 1985, France, p. 243 et autres.

⁵⁰ - (Podestat) هو لقب يوحى بالقوَّة والسلطة التي يتمتَّع بها صاحبه. وهو ممثل جمهورية البندقية في الإمبراطورية البيزنطية أو اللاتينية، مهمته الإشراف عن الرعايا البنادقة المقيمين هناك. ظهر هذا المنصب الإداري منذ وقت مبكر في أوروبا لكن انحصرت مهامها لاحقا في المسائل القضائية. لتفاصيل أكثر، انظر إلى: (Diehl, Op.Cit, note.1, p.47.)

⁵¹ - عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 80.

⁵² Marin: Storia, T.5, p.29.

⁵³ - Heyd, T.1, pp.280,283.

⁵⁴ - عادل زيتون: المرجع السابق، ص 262.

⁵⁵ Heyd, Ibid, et p.273 .

⁵⁶ - عادل زيتون: المرجع السابق، ص 262؛ عداد تسعديت: المرجع السابق، ص 91.

⁵⁷ - Carlo Antonio Marin: Storia Civile e polotica del Commercio de'Veneziani, Venegia, 1800, T.5, p.34.

⁵⁸ - Diehl, Op.Cit, p.41.

عادل زيتون: المرجع السابق، ص 283 ; 272-273 -Heyd, Op.Cit, pp.

60- لتفاصيل أكثر إلى: عداد تسعديت: المرجع السابق، ص 92.

61- عادل، زيتون: المرجع السابق، ص 262؛ وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه المصادر الشرقية للزيت لم تكن الوحيدة بالنسبة للتجار البنادقة، بل كانوا يستوردونها من بلاد المغرب أيضا. انظر إلى: (Le Compte de Mas-latrie: Relation et Commerce de l'Afrique Septentrionale avec les Nations Chrétiennes, Firmin Didot, Paris, 1886, p.377.)

62- عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 92.

63- عادل، زيتون: المرجع السابق، ص 263.

64- عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 92 وما بعدها.

65 -Heyd, T.1, p. 272.

- 66 عداد، تسعديت: المرجع السابق، ص 93.